Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حركية هذا الواقع لكي لا يصير الأدب ضرباً من وهم وإيهام، من خرافة وتخريف. يوسف حبشي الأشقر في زمنه، وعظمة الأديب كونه الزمن الذي هو فيه، والمعركة معه تبقى مفتوحة إلى أن يستكن الزمن على حال الحضور أو الغياب.

بعد أن تحدثنا عن جدلية الحضور والغياب في «المظلة والملك وهاجس الموت»، يبقى علينا أن نحدد أوجه الحضور على ضوء: الرؤية الواقعية التي انتظمت تلك الأوجه حقائق موضوعية قائمة في الزمن المتحول. ويبقى علينا أن نحدد، بالتالي، أوجه الغياب على ضوء الرؤيا المثالية التي انتظمت تلك الأوجه حالات إنسانية ذاتية قائمة في الزمن الثابت. مع هذين النقيضين ندخل مجدداً لعبة التصادم العنيف بين الواقع والمثال، بين المتحول والثابت، بين الحقيقة الموضوعية والحالة الذاتية.

من أوجه الحضور، الحرب:

إنه ضد الحرب، أبداً ضد الحرب، لا يترك مناسبة تمر أو حادثة تقع أو حديثاً يجري أو مشهداً يتناوله بالوصف على مدى الكتاب إلاَّ وأن يتخذ منها موقف الرفض والإدانة المستند إلى فهم خاص لطبيعتها:

«أطعموا المدفأة رؤوس الأسماء المحكومة إعداماً في حرب الأسماء» (ص ٧٥).

لا يكتفي بإبراز موقفه منها بل يبرز موقف الآخرين منها، موقف العدالة تعمية وتسلية بالأرواح، موقف الأم الثكلى والضحايا الأبرياء، موقف المقاتل الذي يتقن لعبة الفداء، وموقف صانعيها:

«يا كفار! أين أنتم جُنَّ الأولاد من صوت الرصاص
وأين أنتم. تأكلون وتشربون وتسكرون وأعيننا نحن
تشوى بلهيب النار» (ص ٤٤).

إنه ضد الحرب لأن الحرب نقيض القيم، والكاتب إنساني المنازع قيمي الدلالات. إنها «الحرب ــ التمثيلية»، وهذا ما نتبينه واضحاً من حوار يجري بينه وبين أبيه: